طريق الهيروين

محمود سالم

طريق الهيروين

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

طريق الهيروين

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٦٩١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
رقم «صفر» يتحدَّث	١١
الملف الخطير	١٥
عثمان يضع خطة	١٩
السجين ٧١٧	٢٣
الاتفاق	٢٧
«ماهاويلي»	٣١
خطة وهمية مُحْكَمة	٣٥
طريق إلى الهند	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

رقم «صفر» يتحدَّث

ربما كانت المرة الأولى التي يحس فيها الشياطين الـ «١٣» أنَّ رقم «صفر» قد فقد اتزانه المعروف ... بل إنَّ صوته العميق اكتسب قدرًا من الخشونة والعصبية وهو يتحدث إليهم، قائلًا: إننا في مرحلة خطيرة من حياة مصر ... فهناك غزو أخطر من الغزو العسكري يفتك بشبابنا ... بأولادنا ... إنَّه غزو المخدِّرات البيضاء ... والمخدِّرات البيضاء تسمية تُطلق على الكوكايين ... والهيروين ... تمييزًا لهما عن المخدِّرات السوداء ... الحشيش والأفيون ... وكل المخدِّرات مدمرة للصحة ... وللمخ ... والأعصاب ... ومحطِّمة للشخصية ... وقاتلة ... وأخطرها على الإطلاق هو الهيروين ...

وأضاءت لوحة على جانب القاعة ... وشاهد الشياطين صورة شاب نحيف، غارت عيناه، وتهدَّلت وجنتاه ... وبدا كأنَّه شيخ في السبعين ...

وقال رقم «صفر»: تصوَّروا أنَّ هذا الشخص عمره ٢٢ عامًا فقط ... ومع ذلك يبدو كأنَّه في السبعين من عمره ... لقد أدمن المخدِّرات ... وفي سبيلها ترك رسالة الماجستير التي كان يُعِدُّها في هندسة الطيران ... وباع كل ما يملك ... وتحول إلى متسول ... ثم إلى لص، حتى قُبض عليه ...

وأطفأت الشاشة أنوارها ... وعاد رقم «صفر» يقول:

إنَّ عصابات التهريب الدولية تُركِّز حَملتَها الآن على بلادنا ... وقد فعلَت ذلك في بداية هذا القرن، بين سنة ١٩١٠م وسنة ١٩٢٠م، واستطاعَت أن تَفتِك بعددٍ كبير من خِيرة الشباب ... وها هي تَعود مرةً أخرى بعد نحو ٦٠ عامًا لتُكرِّر المحاوَلة ... إنَّ هناك أيديًا قذرةً تعمل لتدمير صحة شبابنا ... إنَّها تدفعهم إلى الجنون ... وهو النتيجة التي يؤدي إدمان المخدِّرات إليها ... ثم الموت.

المؤلم ... وتنفس رقم «صفر» بعمق، ثم قال: إنَّ لنا دورنا في هذه المعركة ... فإنَّ جهات الأمن لا تستطيع أن تعمل وحدها ... بل يجب على كل وطني مخلص أن يشترك في الحرب ضد هذه السموم ... إنَّ واجب كل شخص يحب مصر أن يُسهم في هذه الحملة ... الصغار والكبار، الرجال والنساء ... على كل واحد أن يفعل شيئًا ضد هذا الغزو المميت لبلادنا العظيمة.

وقد قامت إدارة أبحاث المخدِّرات في «ش. ك. س» بإعداد ملف عن هذه السموم البيضاء ... تجيب على كل التساؤلات الخاصة بها ... أماكن زراعة هذا النبات ... المعامل ... العصابات التي تقوم بالتهريب ... طرق التهريب، وسيُوزَّع عليكم هذا الملف ... وأرجو أن تدرسوه جيدًا ... وسأترك لكم مناقشة الخطة الواجب اتباعها لضرب طريق الهيروين، والمقصود بطريق الهيروين هو جميع الطرق التي تلجأ إليها العصابات لإدخال هذا السم إلى بلادنا ... إنَّها تعمل في مناطقَ متفرقة، وطبعًا هؤلاء المهرِّبون الذين نقبض عليهم ليسوا من أفراد العصابات. إنَّهم يقومون بعملية النقل مقابل أجر فقط ... إنَّهم في كلمة واحدة مجرد حمَّالين ... وهم عادة من الشبَّان الفقراء ... وهم يُعرِّضون أنفسَهم للسَّجْن أو الإعدام مقابلَ بضع مئات من الدولارات ...

وسكت رقم «صفر»، وكأنَّه يسترد أنفاسه، ثم قال: ولعلكم لاحظتم أنَّ أكثر المقبوض عليهم من «سيريلانكا» أو «الهند» أو الدول الأفريقية ... شباب ضائع، يُلقي بنفسه إلى الهلاك تحت إغراء المال ... إنَّ العصابات القوية لا ترسل رجالها في عمليات نقل الهيروين مطلقًا. إنَّ الرءوس الكبيرة تبقى في القصور والفيلات ... وترسل هؤلاء الضائعين ... ولا يمكن القضاءُ على تجارة السموم هذه إلَّا بضرب الرءوس الكبيرة ... وكما يقولون في المثل ... «إذا أردت أن تقتل الثعبان فاضربه على رأسه وليس على ذيله!»

كان الشياطين يستمعون إلى رقم «صفر»، وقد أحسُّوا فعلًا بخطورة ما يحدث ... إنَّهم يتابعون يوميًّا الجرائد ... ثم إنَّ قسم الأبحاث في «ش. ك. س» يقوم يوميًّا بعمل قصاصات من كل المطبوعات التي تهم الشياطين ... ومنها بالطبع غزو السموم البيضاء لجمهورية مصر العربية ...

وعاد رقم «صفر» يتحدث: إنَّ ما يخيف حقًّا أنَّ هذه السموم بدأت تأخذ طريقها إلى المدارس، إلى طلبة صغار ينتظرهم المستقبل ... تُحطِّم حياتَهم إلى الأبد ... والطريقة — كما تعرفون — أن يقوم مندوب العصابة بتوزيع المخدِّرات على التلاميذ دون مقابل لمدة ثلاثة أيام أو أربعة، حتى يسقط التلميذ في شَرَك الإدمان، ثم يبدأ الموزِّع يطلب جنيهًا ...

ثم جنيهين، ثم ثلاثة ... ويُضطر التلميذ الصغير للدفع تحت إلحاح الآلام التي يشعر بها في جسده ... وشيئًا فشيئًا يُضطر للسرقة لتغطية مصروفاته ... ثم يُضطر إلى الاشتغال بتوزيع المخدِّر مقابل حصوله على المادة ... ثم ينتهي الأمر به إلى السجن أو الجنون.

وزادت حِدَّةُ رقم «صفر» وهو يقول: إنَّهم يحاولون تحطيم مستقبل الأجيال القادمة. إنَّها أقذر حرب شهدناها في بلادنا!

وعاد رقم «صفر» إلى هدوئه، ثم قال: سيصلكم ملف المخدِّرات كاملًا ... أرجو أن تقرءوه جيدًا ... إنَّ به بالطبع معلومات أمدَّتنا بها جهات الأمن في جمهورية مصر العربية ... وهي معلومات ليست متاحةً لكل الناس ... وفيها جزء من الدراسات النفسية، يهمني جدًّا أن تطَّلعوا عليها ... وسأقول لكم مُلخَّصًا عنه الآن ... وإذا كانت هناك أسئلة فسأتولى الردَّ عليها.

وتنهَّد رقم «صفر» وهو يقول: من المعروف علميًّا أنَّ في داخل الإنسان قُوَى للبناء، وقُوَى للتدمير ... فإذا انتصرت الأولى، نجح الإنسان وحقَّق أهداف حياته ... وإذا انتصرت الأخرى ضاع الإنسان ضياعًا نهائيًّا ... وللأسف الشديد، إنَّ بعض الشبَّان بل والكبار يشجِّعون قُوى التدمير في نفوسهم، وهؤلاء هم الذين يُقبِلون على تناول المخدِّرات ... بأنواعها ... كما أنَّ بعض الشبَّان يفعلون ذلك في سبيل التفاخر والمباهاة ...

ومن المؤسف أن يتباهى الإنسان بأنَّه مدمن ... أو متعاطٍ للسموم ... كما أنَّ بعض الشبَّان أيضًا يفعلون ذلك على سبيل التقليد ... وللأسف أيضًا أن يقلد الشخص الرذائل ولا يقلد الفضائل ...

وصمت رقم «صفر» لحظات، ثم قال: سوف تقابلون نماذج لهؤلاء جميعًا أثناء مغامرتكم القادمة ... والآن، هل هناك أسئلة؟

لم يرتفع أيُّ صوت بسؤال ... وهكذا وقف رقم «صفر» وهو يقول: أتمنى لكم التوفيق ... إنَّ المهمة وطنية وقومية وإنسانية ... وأتمنَّى أن تنجحوا!

الملف الخطير

في نفس الوقت تقريبًا، بدأ الشياطين الـ «١٣»، كلٌّ على حِدَة، في قراءة الملف الأزرق ... ملف المخدِّرات ... وقد اعتمد الجزء الأكبر منه على تقرير وضَعَه رجال كبار متخصِّصون في مكافحة المخدِّرات بجمهورية مصر العربية ... بالإضافة إلى المعلومات التي نشرتها معظم الصحف العالمية والمحلية عن المعركة بين قوى الأمن وبين عصابات تهريب المخدِّرات ...

وقد كانت الصفحات الأولى عن أنواع المخدِّرات البيضاء ... الهيروين والكوكايين ...

أولًا: الهيروين:

يُستخلص من المورفين، والمورفين يأتي من الأفيون الذي يُستخرج من نبات الخَشْخاش ... فزهرة الخَشْخاش إذن هي أمُّ السموم ... يُستخرج منها الكودايين والمورفين والهيروين، والزهرة تشبه رأس الثوم الصغير.

وتنتشر زراعتها في «المثلث الذهبي»، وهي منطقة تقع في جنوب شرقي قارة آسيا، وتضم ثلاث دول؛ هي: «بورما» و«لاروس» و«تايلاند».

ومنطقة «الهلال الذهبي»، وتضم: «أفغانستان» و«باكستان» و«إيران»، ومنطقة «الفرشاة النارية»، وتضم: «المكسيك» و«نيبال» و«لُبنان» و«مصر».

وكذلك تنتشر زراعة الخَشْخاش في «الهند» و«تركيا» ... وهناك معامل سرية لتحويل الأفيون إلى مورفين وإلى هيروين في دُول «المثلث الذهبي» ودول «الهلال الذهبي» و«لُبنان» و«المكسيك» ...

ثانيًا: الكوكايين:

ويُستخرج من نبات الكوكا ... وهي شُجَيْرة ذات أوراق دائمة، تُسمى شُجَيْرة الكوكا الحمراء ... وتنبت في «بيرو» و«بوليفيا» من دول أمريكا الجنوبية، كما تُزرع في بعض

أراضي فِلَسطين المحتلة، وفي جزيرة «فورفور» وبعض الدول الأفريقية ... والكوكايين مسحوق ناعم، بِلَّوْري، أبيض اللون، عديم الرائحة ...

ومضى التقرير يُعدِّد أنواع المشتقات التي تخرج من هذا النبات ... ثم جاءت الصفحات الهامة ... وهي الخاصة بطرق التهريب ... وهو الجزء الذي يهتم به الشياطين الـ «١٣» ...

ويقول التقرير، الذي وضعه رجال كبار متخصصون في مكافحة المخدِّرات: إنَّ المهرِّبين يشتركون في تنظيمات، ونادرًا ما يقوم شخص بالتهريب لحسابه ... وحتى إذا فعلها مرة ونجح، فإنَّه سرعان ما يستعين بأفراد آخرين ليكوِّن منهم عصابة صغيرة، ولكن مثل هذه العصابة لن يُكتب لها النجاح ما لم تنضم إلى العصابات الدولية المنظمة تنظيمًا جيدًا، والتي تعتمد على أحدث وسائل التكنولوجيا، وكذلك على أعلى مستوًى من الاستشارات القانونية، لمعرفة وسائل التهريب من القانون.

وجاءت فِقْرة هامة في التقرير تقول: عادة ما يكون لهذه العصابات مركز رئيسي في دولة الإنتاج، ومراكز فرعية في دُول العبور، أي التي يعبرها المهرِّبون ... إلى دول الاستهلاك. وتبرز عصابة المافيا — وهي أشهر العصابات العالمية — في مجال تهريب المخدِّرات البيضاء. وتتسم عصابات التهريب بالعنف والشراسة، ولا تسمح لشخص يعمل بها أن يتركها، وإلَّا قامت بتصفيته تصفيةً جسدية؛ أي قتله، وقد يمتد هذا الانتقام إلى أولاده أو أسرته أو معارفه.

كما أنَّ هذه العصابات لا تستسلم بسهولة لجهات الأمن، لأنَّها تعرف نوع العقوبات التي ينتظرها، لهذا فهي تُقاتل حتى النَّفَس الأخير ... بل إنَّها في سبيل إثبات قوتها قد تصل إلى حد قتل أكبر رجال السلطة، مثلما حدث في «كولومبيا»؛ حيث قتلت إحدى عصابات التهريب وزيرَ العدل الذي كان يشُنُّ حملة هجوم عليهم؛ ليُثبتوا أنَّهم أقوى من الحكومة ...

وبالطبع فإنَّ هدف هذه العصابات النهائي هو الثروة ... فتهريب المخدِّرات يُدِرُّ أرباحًا فاحشة على العصابات. وقد اتضح أنَّ إحدى عصابات التهريب في الولايات المتحدة كانت تربح في اليوم الواحد مليونًا ونصفَ مليون من الدولارات ...

ثم يتعرض التقرير إلى نقطة أخرى هامة ... بل شديدة الأهمية، ومنها يبدأ عمل الشياطين ... وهذه النقطة خاصة بأسلوب التهريب ووسائله ...

واتصل «عثمان» بـ «أحمد» قائلًا: هل انتهيتَ من التقرير؟

ردَّ «أحمد»: إنني أقرأ الآن في أسلوب التهريب والوسائل التي تستخدمها العصابات.

عثمان: إنني أقرأ في نفس الموضوع من التقرير تقريبًا.
أحمد: إنَّه الجزء الهام من التقرير بالنسبة لنا.
عثمان: طبعًا ... ففي ذهني خطة ما، سوف نناقشها عندما ننتهي من قراءة التقرير.
أحمد: أتصوَّر أنَّك تفكر في أن تقوم بالاندساس داخل إحدى هذه العصابات.
صفَّر «عثمان» في التليفون، وقال: كيف تصوَّرت؟
أحمد: لأنني أعرف حبك للمخاطرة.
عثمان: اتصل بي بعد أن تنتهيَ من التقرير.
وانهمك «أحمد» في القراءة عن طرق التهريب ... وهي تنقسم إلى عدة طرق، حسب الكمية والنوع.

(١) يُفضِّل المهرِّبون استخدام طريق البحر لنقل الكميات الضخمة من المخدِّرات ... فالبحار لا تخضع لسيادة أي دولة، عدا المياه الإقليمية، أي التي تمتد عند شواطئ الدولة، وهي نحو ٢٥ كيلومترًا ...
(٢) استخدام شحنات البضاعة العادية، مثل: صناديق الفاكهة، أو المأكولات، أو الأدوية، حيث تضع العصابة المخدِّرات مكان هذه المواد.
(٣) استخدام سيارات النقل الكبيرة، التي تحمل علامات الاتحاد الدولي للنقل.
(٤) استخدام الطائرات العمودية «الهليوكبتر» ... لنقل المخدِّرات من دول الإنتاج إلى أماكن مهجورة في دول الاستهلاك ... حيث توجد مطارات صغيرة سرية ...
(٥) مع المسافرين، ويتم إخفاء المخدِّرات في جيوب سرية في الحقائب، وأنابيب معجون الأسنان، وغيرها.
(٦) استخدام الرسائل البريدية، كما ظلَّ استخدام الجِمال في نقل المخدِّرات في الطرق الجبلية والصحراوية.
(٧) كثيرًا ما يستخدم المهرِّبون أشخاصًا يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية ... وهم أعضاء السفارات، التي تحميهم الحصانة الدبلوماسية من التفتيش ... أمَّا باقي التقرير فكان مُخصَّصًا لأهم قضايا التهريب التي ضُبطت في جمهورية مصر العربية في الشهور الأخيرة.

وهو جزء لا يقل أهميةً عن الجزء السابق؛ لأنَّ القضية الملحة أمام الشياطين هي قضية انتشار السموم البيضاء — الكوكايين والهيروين — فيها.

وتركيز العصابات على إفساد الشباب المصري، بعد أن اختفت هذه المخدِّرات من مصر نهائيًّا نحو عام ١٩٣٠م.

ووضع «أحمد» التقرير جانبًا، واستغرق في تفكير عميق، ثمَّ رنَّ جرس التليفون بجواره، وكان المتحدث هو رقم «صفر».

عثمان يضع خطة

قال رقم «صفر»: لقد وصلتني معلومات الآن عن عصابة ضخمة تركز توزيعها على مصر ... وسوف أسافر إلى القاهرة لحضور اجتماع مع عدد من رجال الأمن لتحديد خطة لمواجهة العصابة ... وسيصلكم تقرير في هذا المساء ...

اعقدِ اجتماعًا للشياطين ... وضعوا تصوُّرًا لخطة خاصة بكم؛ لأنَّكم ستعملون مستقلِّين عن جهات الأمن الرسمية.

أحمد: إنَّ «عثمان» عنده خطة ... وأعتقد أنني سأوافق عليها نيابة عنك!

رقم «صفر»: إنني أثق بكم!

اتصل «أحمد» بـ «عثمان» الذي حضر على الفور إلى غرفة «أحمد».

وقال «عثمان»: لقد قرأتُ ما نشرتْه الصحف المصرية في الفترة الأخيرة عن عمليات الضبط التي قام بها رجال مكافحة المخدِّرات ... بالإضافة إلى التقرير الذي أمدَّنا به قسم الأبحاث ... ومن الواضح أنَّ أهم قضية هي قضية «يوجاراجا» السيريلانكي ... الذي قد ضُبطت معه كميةٌ ضخمة من الهيروين، تُقدر بأربعة ملايين دولار ... ثم اتضح أنَّه أخفى كمية أخرى قيمتها ستة ملايين دولار ... في عُشة فراخ فوق سطح مسكنه ... وهذا يعني أنَّه على عَلاقة قوية بعصابة دولية ... وهذه العصابة تَعتبره مُهرِّبًا خطيرًا حتى تعطيَه هيروينًا بنحو عشرة ملايين دولار.

أحمد: هذا صحيح.

عثمان: عن طريق «يوجاراجا» يمكنني الوصول إلى العصابة الرئيسية، خاصة أنَّه من «سيريلانكا»، وهي — كما تعرف — جزيرة مجاورة للهند ... وهذا يعني أنَّ العصابة التي تمده بالمخدِّرات هندية ... أو هي فرع للمافيا مقرُّه «الهند».

أحمد: هذا معقول جدًّا!

عثمان: إنني أتصوُّر أنَّه في مقدرتي أن أكسب ثقة هذا المهرِّب، بحيث أحصل منه على معلومات عن العصابة.

أحمد: كيف؟

عثمان: أن يسهِّل لي رقم «صفر» دخول ليمان «طرة» في القاهرة بتهمة ما ... ولتكن التهريب أيضًا، وأن يضعَني معه في زنزانة واحدة ... وسوف أقول له إنني على علاقة بعدد من أصحاب النفوذ، وإنني سأخرج بسرعة من السجن، وإنَّه يستطيع أن يرسل معي رسالة إلى زعماء العصابة.

أحمد: ولماذا أنت بالذات الذي يدخل السجن؟

ابتسم «عثمان»، وقال: لأنني الوحيد الأسمر بينكم، وفي إمكاني أن أدَّعيَ أنني من نيجيريا مثلًا ... أو فتى من «الهند» ... ولن يعرفني «يوجاراجا»!

ابتسم «أحمد» أيضًا، وهو يقول: إنَّها خطة معقولة جدًّا يا «عثمان» ... ولست أعتقد أنَّ رقم «صفر» سيعترض عليها، رغم أنَّك ستعرِّض نفسك لمخاطر شديدة!

واتصل «أحمد» ببقية الشياطين، وعقدوا اجتماعًا ناقشوا فيه الخطة، وقال «فهد»: ولكنني أتصوَّر أنَّه من الأفضل أن يدخل السجن مع «عثمان» واحد أو أكثر منا، حتى يمكنه أن يتدخل إذا أحسَّ بأي خطر تجاه «عثمان».

عثمان: ولكني سأكون في حماية رجال الأمن داخل السجن ... فهم سيعرفون مهمتي.

أحمد: على العكس ... إنَّهم يجب ألَّا يعلموا ... إنَّ أي تصرف صغير قد يُعطي لـ «يوجاراجا» الإحساس بأنَّك مدسوسٌ عليه.

إلهام: أعتقد أنَّ علينا تقسيم المهمة ... فـ «عثمان» يدخل السجن، بدون أن يعرف رجال السجن حقيقة حاله ... و«فهد» يذهب لزيارته، حيث يستمع منه إلى المعلومات التي يحصل عليها، فإذا كانت هذه المعلومات من الممكن أن تُفيدنا، قام عدد منا بالعمل على الفور.

أحمد: هذا كلام منطقي جدًّا ... وستقوم «إلهام» بوضع التخطيط اللازم ... على أن نجتمع في المساء، بعد أن يصلنا تقرير رقم «صفر».

وفي المساء ... اتصل رقم «صفر» من القاهرة بمقر «ش. ك. س» بواسطة اللاسلكي، وأملى رسالة شفرية إلى الشياطين الـ «١٣» ... وتلقَّى مُلخَّصًا لاجتماع الشياطين، ووافق على خطة «عثمان»، وقال إنَّه سيدبر له دخول سجن «طرة»، حيث يوجد «يوجاراجا»، وستكون صفتُه مهربًا من «نيجيريا» ... وعليه أن يدرس ويجمع أكبر كمية من المعلومات

عن «نيجيريا» ... وطرق التهريب فيها، وبعض أسماء المهرِّبين، وسيجد معلومات كافية عند قسم الأبحاث والمعلومات.

ابتهج الشياطين الـ «١٣» لأنَّ رقم «صفر» أقرَّ الخطة التي وضعوها ... وأخذ «عثمان» كل المعلومات، التي حصل عليها من قسم الأبحاث والمعلومات، وأخذ يستذكرها جيدًا ... بينما قام بقية الشياطين بدراسة جزيرة «سيريلانكا»، التي قدِمَ منها المهرِّب «يوجاراجا».

وحسب المعلومات التي جاءت في التقرير الأول ... فإنَّ «الهند»، وهي دولة تسمح بزراعة الخَشْخاش، وهو النبات الذي يُستخرج منه الأفيون، فقد تأكَّدوا أنَّ العصابة الرئيسية أو فرع العصابة الرئيسية موجود في «الهند» ... وهكذا عكفوا على دراسة «الهند»، ومناطق زراعة الخَشْخاش فيها ...

وفي منتصف اليوم التالي، وصلت تعليمات رقم «صفر» بالتحرك إلى القاهرة في مجموعتين ... الأولى مكونة من: «أحمد» و«عثمان» و«زبيدة» و«إلهام»، والثانية من: «بو عمير» و«هدى» و«ريما» و«رشيد»، ويكون مقرُّ المجموعة الأولى المقرَّ السريَّ الفرعيَّ في الدقي ... بينما مقر المجموعة الثانية فندق «سونيستا» في مدينة نصر ... أما بقية الشياطين فتبقى في المقر السري لحين الحاجة إليهم ...

وركبت المجموعة الأولى سيارة واحدة، انطلقت بها من المقر السري في الصَّحْراء، ففُتحت الأبواب الصخرية، التي تحركها دائرة إلكترونية ... ثم أُغلقت مرة أخرى، وساد الصمت في الصَّحْراء، ثم مضت ساعة ... وانطلقت السيارة الثانية، تحمل المجموعة ٢ من الشياطين. فحسب القواعد المعمول بها في منظمة الشياطين أنَّهم لا يركبون معًا طائرة واحدة إلَّا في حالات الضرورة القصوى ...

وعندما وصلت السيارة إلى أقرب مطار من المقر السري، كان هناك سائق خاص في انتظار السيارة، أخذها إلى «جراج» خاص قرب المطار ... ثم استقل الشياطين الأربعة الطائرة إلى القاهرة ... وبعد نحو ثلاث ساعات كانت سيارة أخرى تحملهم إلى المقر السري الفرعي في الدقي ...

وقد كان «أحمد» سعيدًا وقلقًا في نفس الوقت ... كان سعيدًا بالعودة إلى القاهرة بعد طول غياب ... وقلقًا لأنَّه كان يريد الاشتباك فورًا مع عصابات الهيروين، لولا أنَّ ثمة إجراءات ما زالت ستتم قبل أن يدخل «عثمان» إلى سجن «طرة» ومقابلة «يوجاراجا» ...

السجين ٧١٧

تم القبض على «عثمان» في تمام الساعة العاشرة من صباح اليوم الثالث لوصول الشياطين الأربعة إلى القاهرة ...

كان الأربعة يسيرون في شارع السد العالي بالدقي، عندما توقفت سيارة شرطة من طراز «بيجو ستيشن» ونزل منها ضابطان وثلاثة جنود مسلحين بالمسدسات والمدافع الرشاشة ... وتجمَّع الناس حول المشهد المثير، والضابط يقول لـ «عثمان»: لا تحاول المقاومة!

واستسلم «عثمان»، وسمع الضابط يقول له: أنت «نظام برهان» السيلاني ... ولك ملف في إدارة تهريب المخدِّرات!

عثمان: ولكنني لم أقم بأي تهريب!

الضابط: قل هذا الكلام في النيابة!

وشاهد «أحمد» و«زبيدة» و«إلهام»، «عثمان» وهو يدخل سيارة الشرطة التي انطلقت به إلى قسم الدقي. تم كتابة محضر بواقعة القبض على «عثمان» ... ثم أُودع في غرفة الحبس ... وقد كانت مفاجأة كاملة لـ «عثمان» أن يجد نفسه بين مجموعة من اللصوص والنشالين، الذين استقبلوه بقولهم: ما هي تهمتك؟

عثمان: تهريب مخدرات.

ضحك شاب رفيع شاحب، وهو يقول: مخدرات! أي نوع؟

عثمان: يقولون إنَّه «هيروين».

الشاب: إنَّها موضة هذه الأيام ... فالأرباح كثيرة.

عثمان: والثمن غالٍ جدًّا!

الشاب: الشنق ... لا أكثر ولا أقل!

عثمان: وهل هناك أكثر من الشنق؟

ضحك السجناء، وقال رجل عجوز يسعل باستمرار: هل معك سيجارة؟

عثمان: إنني لا أدخن.

فجأة، فُتح باب الحجز، وصاح الشاويش: «نظام برهان»!

لم يردَّ «عثمان» لنصف دقيقة؛ فقد نسيَ اسمه الجديد، فصاح الشاويش بعنف: «نظام برهان»!

قفز «عثمان» قائلًا: نعم!

الشاويش: تعالَ معي!

سار «عثمان» مع الشاويش إلى غرفة أخرى، كان بها بعض الضباط، الذين تهامسوا عندما شاهدوه، وقال أحدهم: ستُرحَّل الآن إلى سجن «طرة».

عثمان: إنني لم أُسأل أمام النيابة.

الضابط: ستُسأل فيما بعد.

واقتاده أحد الضبَّاط الشبَّان ومعه جندي يحمل مدفعًا رشاشًا إلى سيارة سجن صغيرة، انطلقت بهم إلى سجن «طرة».

تمت إجراءات السجن بسرعة ... خلع «عثمان» ثيابه، وسلَّم ما يملك من نقود في أمانات السجن ... ثم تسلَّم ثياب السجن، وكانت تحمل رقم ٧١٧ ... ثم اقتاده أحد الحُرَّاس إلى داخل السجن، وسار مسافة في الطرقات الباردة، قبل أن يُسلِّمه إلى حارس آخر، وقال له: ضعه مع الولد السيريلانكي!

وهكذا، خلال ساعتين فقط، وجد «عثمان» نفسه داخل السجن، ومع المهرِّب السيريلانكي المخيف «يوجاراجا». كان المهرِّب يجلس في طرَف الزنزانة، وركز عينيه السوداوين القويتين على «عثمان» عندما دخل ...

وقف «عثمان» لحظات حتى تتعود عيناه الظلام ... وسمع «يوجاراجا» وهو يتنهد بعمق، دون أن ينطق بكلمة واحدة ...

عندما اعتادت عيناه الظلام ... شاهد «عثمان» ما في الزنزانة ... فراشين من الحصير ... وبطانيتين ... ووعاء لاستخدامه في التبول ... ولم يكن هناك شيء آخر.

وكان «يوجاراجا» يجلس على أحد الفراشين، في طرف الغرفة، وقد شبَّك ذراعيه على ساقيه ... وأخذ يركز بصره الحاد على «عثمان» ...

استلقى «عثمان» على الفراش الآخر، وقد أحسَّ بنظرات «يوجاراجا» تخترقه كالخنجر ... استمر الصمت بينهما لحظات، ثم قال «يوجاراجا»: من أنت؟

لم يردَّ «عثمان» على الفور ... كان يريد أن يُبديَ للمهرِّب الدولي أنَّه لا يهابه ... وبعد أن صمت لحظات، قال: وماذا يهمك أن تعرف؟

ردَّ «يوجاراجا» بعنف: إنَّك جاسوس للشرطة!

استلقى «عثمان» على الفراش في لامبالاة ... كان يعرف أنَّ المعركة بينه وبين «يوجاراجا» تحتاج إلى أعصاب هادئة، وأدهشه أن يكتشف المهرِّب السيريلانكي حقيقته ... وكان عليه أن يمثل دوره إلى النهاية ...

ساد الصمت الزنزانة ... وبدا «يوجاراجا» متحفزًا، وهو يقول لـ «عثمان»: لماذا لا ترد؟

عثمان: خذ حذرك من الجاسوس!

يوجاراجا: إنني أسألك من أنت؟

عثمان: ولماذا تسألني وقد عرفت حقيقتي.

يوجاراجا: إنني أريد أن أسمعها منك.

عثمان: سأقول لك مرة واحدة ... صدِّق أو لا تصدِّق، فإنَّ هذا لا يهمني!

يوجاراجا: من أنت؟

عثمان: اسمي «نظام برهان» من «كولومبو».

اتسعت عينا «يوجاراجا» دهشة، وهو يقول: أنت أيضًا من «سيلان»؟

عثمان: نعم ... ولكني منذ فترة طويلة جدًّا ... كنت أعمل في السعودية فترة، ثم تركت العمل وعدت إلى «كولومبو»، ولكني لم أجد عملًا، فسافرت إلى «بومباي».

يوجاراجا: «بومباي»!

عثمان: نعم ... وتعرفت هناك بـ ...

ثم سكت «عثمان» فجأة، كأنَّه تحدث أكثر مما ينبغي ... فصاح «يوجاراجا»: بمن؟

عثمان: لقد عرَّفتكَ وهذا يكفي.

يوجاراجا: هل تعلم من أنا؟

عثمان: لا ... ولا يهمني أن أعرف ... لقد قبضوا عليَّ بتهمة التهريب رغم أنني ...

وعاد «عثمان» إلى الصمت ... وصاح «يوجاراجا» مرة أخرى: تهريب ماذا؟

عثمان: ليست هذه مشكلتك!

يوجاراجا: أنت لا تعرفني ... ألم تسمع في «بومباي» باسم «مامو»؟

عثمان: هل تعرف «مامو»؟

يوجاراجا: هل تعرفه أنت؟
عثمان: طبعًا!
يوجاراجا: عظيم ... ولكن!
وعاد «يوجاراجا» ... إلى الصمت مرة أخرى.

الاتفاق

ساد الصمت فترة بين «يوجاراجا» و«عثمان»، وكان واضحًا أنَّ كلًّا منهما يقيس قوة الآخر، ومدى قدرة احتماله ... وكان «عثمان» يعرف أنَّ «مامو» من أكبر تجار المخدِّرات في الهند، من خلال التقارير التي قرأها عن المنطقة، وقطع حبل الصمت دخول أحد الحراس الذي نادى على «عثمان»، ثم جذبه بعنف إلى الخارج ...

كان «عثمان» يعرف أنَّ كل ما يحدث له في السجن هو جزء من التمثيلية المتقنة التي يُخرِجها رقم «صفر» مع رجال الأمن في مصر ... لذلك عندما جذبه الحارس بعنف، أدرك أنَّهم يريدون إيهام «يوجاراجا» بجدية شخصية «نظام برهان» التي يتقمَّصها «عثمان».

دخل «عثمان» غرفة، وجد بها ثلاثة رجال ... قال أحدهم مبتسمًا: سنقوم ببعض التغييرات في شكلك ... أرجو ألَّا تتضايق لأنَّك ستتألم قليلًا!

وتقدم أحد الرجال وأخذ يمزق ملابس «عثمان» في أماكن معينة ... وفوجئ «عثمان» بلكمة قوية ... أسالت الدماء من أنفه ... وكاد يقفز لمواجهة المعتدي، لولا أنَّ الرجل ابتسم قائلًا: معذرة ... لا بُدَّ أن تكون الإصابات حقيقية، فهذا المهرِّب ذكي وخطير ... ونحن نعتمد عليك!

وأحسَّ بألم في كتفه ... ثم بدأت عمليات التضميد بالمطهرات الملونة ... وقطع القطن والشاش ... ثم أخذوا «عثمان» إلى مرآة كبيرة في غرفة مجاورة ... وعندما وقع بصره على ما جرى له، ابتسم ... لقد كان واضحًا أنَّه ضُرب بقسوة ... ثم قدموا له طعام الغداء ... وقالوا له: ستتظاهر بالجوع في الزنزانة ... عليك أن تُناديَ في طلب الطعام ... وسوف ينهَرك الحارس.

قال له أحد الرجال: والآن أريدك أن تمشيَ متخاذلًا، كأنَّ ساقيك لا تستطيعان حَمْلَك.

وبدأ «عثمان» مِرانَه على المشية ... وبدا كأنَّه محطَّم وضعيف ... وبعد ساعتين اقتاده الحارس إلى الزنزانة مرة أخرى، ثم قذف به على الأرض ... وأخذ عثمان يتأوَّه وهو يزحف إلى ركن الزنزانة ...

بدت علامات الدهشة على وجه «يوجاراجا» وهو يرى «عثمان» يزحف ويتأوَّه ... ثم فتح الحارس الباب مرة أخرى، وأحضر طعام «يوجاراجا»، وصاح «عثمان»: إنني جائع، الطعام أيها الحارس!

ردَّ «الحارس» بعنف: لن تأكل حتى تعترف!

ثم أغلق الباب بعنف ... أخذ «يوجاراجا» يتناول طعامه في صمت ... بينما تظاهر «عثمان» أنَّه استسلم للنوم، وبعد نصف ساعة، عاد الحارس مرة أخرى، فأخذ الإناء الفارغ وخرج ... واقترب «يوجاراجا» من «عثمان» ... وأحسَّ «عثمان» بأنفاس المهرِّب، وهو ينحني عليه ويتأمله ... ثم يمد أصابعه ويلمس الجرح الذي في كتفه ... وسمِعه يتنهد بارتياح.

ظلَّ «عثمان» نحو ساعتين نائمًا، ثم استيقظ صائحًا في طلب الطعام ...

قال «يوجاراجا»: لقد أبقيتُ لك قطعة من الخبز.

ومدَّ يده بها ... تناولها «عثمان» بسرعة، وأخذ يقضِمها بشراهة، كأنَّه لم يذق الطعام منذ أيام ...

قال «يوجاراجا»: هل عذبوك؟

عثمان: هؤلاء الأبالسة!

يوجاراجا: ماذا يريدون منك؟

عثمان: إنَّهم لم يجدوا ما أحضرته معي ... لقد أخفيته في مكان لن يخطر على بال!

يوجاراجا: أين؟

تردَّد «عثمان» قليلًا، ثم قال: لا داعي لأن أذكره لك!

يوجاراجا: إذا قلت، فإنني سأقول لك شيئًا شديد الأهمية!

عثمان: مثل ماذا؟

يوجاراجا: إنني أدبِّر خطة للهرب ... وإذا استطعنا أن نهرب ففي إمكاني أن أعرِّفك بالرجل الكبير في القاهرة ... ثم أعرفك بـ «مامو» إذا خرجنا من مصر.

عثمان: وماذا يهمك في معرفة مكان ما أخفيه؟

يوجاراجا: إنني لا أحتاج سوى النقود ... نريد نقودًا كثيرة.

سكت «عثمان»، بينما أخذ «يوجاراجا» يُلحُّ عليه: هناك ثلاثة من زملائي لم يُقبَض عليهم بعد. إنَّهم مختفون في مكان ما ... ولكن المشكلة أنَّهم لا يملكون نقودًا كافية لشراء سيارة وتدبير الأسلحة!

عثمان: ولماذا لا يذهبون إلى الرجل الكبير الذي تتحدث عنه؟

يوجاراجا: إنَّه لا يتعامل إلَّا معي.

عاد «عثمان» للصمت من جديد، لقد حصل على معلومات هامة في ساعات قليلة، وعليه إبلاغها ... ولكن لا يعرف متى سيخرج مرة أخرى، والأفضل مجاراة «يوجاراجا» فيما يقول ...

قال «عثمان»: وما هي خطتك؟

يوجاراجا: عندما نخرج للعرض على النيابة، سيكون زملائي الثلاثة في انتظارنا، لقد درسوا كل شيء ... السيارات والشوارع ... وقالوا إنَّ في الإمكان تهريبي إذا كان معهم سيارتان وبعض الأسلحة!

عثمان: أعتقد أنَّ في إمكاني تدبير النقود!

كشَّر «يوجاراجا» عن أسنانه لأول مرة في ابتسامة سامة، ثم قال: متى؟

عثمان: لا أدري ... ولكن قد يأتي شخص لزيارتي فأُخطره بما يفعل!

يوجاراجا: إذن، كل المطلوب منه أن يتصل برقم تليفون لمقابلة زملائي الثلاثة وتسليمهم النقود.

عثمان: لنفترض أنَّك ذهبت للتحقيق وحدك!

يوجاراجا: أقسم لك أنني لن أغادر هذا البلد إلَّا إذا مكَّنْتُكَ من الهرب معي، إنَّ بيننا كلمة شرف!

عاد «عثمان» للصمت من جديد ... ومضت بضع ساعات، تحدث فيها كثيرًا، ثم جاء موعد العشاء ... وجاء الحارس بطعام لـ «يوجاراجا»، ولم يحضر طعامًا لـ «عثمان»، ومرة أخرى ثار «عثمان» ثورة عارمة، وأخذ يقفز كالمجنون في الزنزانة ... وجاء بعض الحراس على صراخه، وجرُّوه من الزنزانة إلى الخارج، وأغلقوا الباب.

ظلَّ صوت «عثمان» في الدهاليز مرتفعًا، حتى أدخلوه نفس الغرفة التي كان بها في الصباح ... وكان الرجال الثلاثة هناك، وبسرعة روى لهم «عثمان» ما حدث ... ووافقوا جميعًا على أن يقوم «عثمان» بمساعدة «يوجاراجا» في الهرب ... وفي نفس الوقت ستساعد جهات الأمن «يوجاراجا» أيضًا ... وطلب «عثمان» أن يتصل تليفونيًّا، وتحدَّث إلى «أحمد»، وشرح له كلَّ ما حدث.

أحمد: إنَّك تتقدم بسرعة!

عثمان: أريد أن أراك غدًا في السجن.

أحمد: سآتي.

عثمان: لقد قلت لـ «يوجاراجا» إنَّ زائرًا سيأتي لزيارتي، وسوف أرتب معه مسألة النقود.

أحمد: سأكون هذا الزائر.

«ماهاويلي»

في تلك الليلة، اتفق «يوجاراجا» و«عثمان» على كل التفاصيل الخاصة بخطة الهرب ... ولم يبقَ سوى التمويل، الذي وعد «عثمان» بأن يقوم به بواسطة صديقه القادم لزيارته في الصباح ...

كانت خطة «يوجاراجا» غاية في الذكاء والدقة ... فزملاؤه الثلاثة سيرتدون ثياب رجال البوليس الدولي ... ويركبون سيارة تحمل إشارة البوليس الدولي ... وشيء عادي أن يكونوا مسلحين ...

وسيقوم الثلاثة بافتعال حادثة لتعطيل السيارة التي ستُقِلُّ «يوجاراجا» إلى المحكمة ... أو عند عودته منها، حسب الظروف، وسيتولى أحد الثلاثة مهاجمةَ سائق سيارة السجن ثم يقودها بعيدًا ...

وفي الصباح، تقابل «أحمد» و«عثمان» في السجن ... روى «عثمان» لـ «أحمد» تفاصيل اتفاقيته مع «يوجاراجا» ... وقال «أحمد»: من الممكن طبعًا تدبير المبلغ المطلوب. سأتصل برقم «صفر»!

عثمان: ويجب الاتفاق أيضًا مع رجال الأمن حتى تنجحَ خطة «يوجاراجا» في الهرب!

أحمد: طبعًا ... إنَّهم سيتظاهرون بأنَّهم لا يعرفون الخطة، وسيعملون على إنجاحها.

عثمان: وكيف يتم الاتصال بك؟

أحمد: ستصلك رسائل مني في صينية الطعام. إنَّ هذا يعطي «يوجاراجا» إحساسًا بأنَّك قوي ... وأنَّ خلفك تنظيمًا كبيرًا!

وعاد «عثمان» إلى الزنزانة ... وابتسم وهو يقول لـ «يوجاراجا» إنَّ كل شيء سيكون على ما يرام ...

يوجاراجا: هل أنت متأكد؟

عثمان: ستأتيني رسالة هذا المساء!

يوجاراجا: كيف؟

عثمان: لا أدري ... ولكن أصدقائي قالوا لي إنَّ الرسالة ستصلني بطريقة ما.

يوجاراجا: وهل من الممكن لأصدقائك الاتصال بزملائي؟

عثمان: ممكن جدًّا ... أعطني العنوان.

يوجاراجا: ليس الآن ... بعد أن تصلك الرسالة!

مضى النهار في الزنزانة في أحاديث متقطعة ... وخرج الاثنان لنزهة قصيرة ... وعندما هبط المساء، واقترب موعد العشاء، تظاهر «عثمان» بالقلق ... ثم جاء الحارس يحمل أطباق الطعام ...

أخذ «عثمان» يتأمل قطع الجبن والحلاوة ... ثم أمسك برغيف العيش وأخذ يتحسسه ... وأحس على الفور أنَّ ثمة شيئًا ملفوفًا داخله ...

كان «يوجاراجا» يتأمله، عندما أخرج «عثمان» قطعة صغيرة من الورق، ملفوفة على شكل سيجارة. قبض «عثمان» على الورقة بشدة، ولكن «يوجاراجا» قال: لقد رأيتُها.

عثمان: إنَّها رسالة من أصدقائي في الخارج.

وفتح «عثمان» الورقة الصغيرة ... كانت مكتوبة بالقلم الرصاص وبخط رفيع، ولكن واضح:

«الأخبار طيبة، بعد غدٍ المحكمة ... ستبقيان هناك حتى حلول الظلام. أين زملاء «يوجاراجا»؟ ... يجب أن نعرف أين هم صباحًا حتى يتم ترتيب الأمور ... سنتصل بك مرة أخرى ... النقود جاهزة ...»

ابتسم «يوجاراجا» ابتسامة عريضة، وقال: إنَّ الحظ يخدمنا ... إنَّ الظلام يساعد جدًّا على تنفيذ الخطة.

عثمان: كيف يمكن الاتصال بزملائك؟

يوجاراجا: إنَّهم ينزلون في ثلاثة أماكن متفرقة حتى لا يعرف أحد مكانهم.

عثمان: لكن الاتصال سيتم بواحد منهم ... وليتصل هو بالباقين!

يوجاراجا: واحد منهم ينزل في فندق «القبة الخضراء» في شارع الأزهر، تحت اسم «لوبي بيجا»!

عثمان: أليست هناك كلمة سر؟

يوجاراجا: نعم ... إنَّها «ماهاويلي».

عثمان: إنَّه اسم غريب!

يوجاراجا: إنَّه اسم أعلى قمة جبل في «سيريلانكا».

عثمان: إنَّه اسم له رنين الموسيقى.

يوجاراجا: هذا صحيح.

تمَّ كل شيء كما ينبغي ... فعندما تسلَّم «أحمد» معلومات «عثمان»، أسرع هو و«إلهام» إلى شارع الأزهر ... كان الوقت مساءً عندما وصلوا إلى الشارع القديم المزدحم، وبقيت «إلهام» في السيارة، بينما ذهب «أحمد» إلى موظف الاستقبال في فندق «العتبة الخضراء».

قال الرجل: نعم. عندنا نزيل بهذا الاسم ... ولكنَّه ليس موجودًا الآن.

أحمد: ومتى يعود؟

الرجل: لا أعرف ... إنَّ مواعيده غير منتظمة ... كما أنَّه لم يدفع أجرة الفندق منذ ثلاثة أيام!

أحمد: لقد جئتُ لأعطيَه نقودًا وصلته من الخارج.

اهتم الرجل بهذه المعلومات، وقال: تستطيع أن تجده على قهوة «الفيشاوي» ... فهو يقضي أغلب أوقاته هناك.

أحمد: وما هو شكله؟

الرجل: إنَّه قصير القامة، قوي العضلات ... يلبس قميصًا لا يغيِّره «كاروهات»، ويضع في رقبته عِقدًا من الخشب الأسود، وشعره أسود أيضًا.

أحمد: هذا يكفي!

وانطلق «أحمد» إلى نهاية شارع الأزهر، حيث ركن سيارته، ونزلت «إلهام» معه، وأخذا طريقهما إلى قهوة «الفيشاوي»، وكان المكان مزدحمًا برُوَّاد المقهى من المصريين وغيرهم من مختلف الأجناس، الذين يحبون زيارة الحي العتيق. أخذا يبحثان في المقهى ... ولكن «لوبي بيجا» لم يكن هناك ... وسارا حول مسجد الحسين ... ثم انحرفا يسارًا في أحد الأزقة التي تؤدي إلى الميدان مرة أخرى، وشاهدا رجلًا يسير على مَبْعَدة، وهو يرتدي قميصًا «كاروهات»، وأسرعا إليه ... ولكنَّه لم يكن «لوبي» ...

قالت «إلهام»: دعنا نعود إلى الفندق، لعله قد عاد!

أحمد: هيَّا بنا!

ولكنهما في هذه اللحظة بالذات شاهدا شخصًا يقف أمام أحد المطاعم الصغيرة، وهو يحملق في الطعام بشراهة ...

عرف «أحمد» على الفور أنَّه «لوبي»، فأسرع إليه، ثم وقف بجواره هادئًا، وقال: هل تريد وجبة ساخنة؟

نظر إليه الشاب في ضيق، وقال: هل تسخر مني؟

أحمد: مطلقًا، جئت إليك من «يوجاراجا» ...

قفز الشاب، كأنما لدغه ثعبان، وقال: «يوجاراجا» ... هذا الكلب ... إنني لا أعرفه!

أحمد: ولكنَّه يرسل لك تحيات «ماهاويلي»!

تنهَّد «لوبي»، وقال: «ماهاويلي»!

أحمد: نعم ... إنَّه يدعوك لوجبة ساخنة.

كان واضحًا أنَّ «لوبي» في حالة يُرثَى لها من الجوع، فأمسك بذراع «أحمد» وجذَبَه إلى داخل المطعم ... وجلس الثلاثة ... وبدأ الكلام ... والطعام ...

خطة وهمية مُحْكَمة

جاء طبق الكباب والكفتة ... فانقضَّ عليه «لوبي» كالكلب الجائع ... وأخذ يلتهم قطع اللحم كأنَّه تمساح ... وبدأ لونه الشاحب يتغير ...

وقال: لا يهم بعد هذه الوجبة الشهية ما يحدث.

أحمد: إنَّ هناك مزيدًا من الأموال لك!

لوبي: كيف؟

أحمد: إنَّ هناك خطة لتهريب «يوجاراجا» وشاب آخر يُدعى «نظام برهان» من السجن.

لوبي: إنني لم أُخْطَرْ بهذه الخطة!

أحمد: هناك زميلان لك.

لوبي: تقصد «مهارشا» و«جيكوب».

أحمد: نعم.

لوبي: إنَّهما مُفْلِسان أيضًا ... ويجب أن نصل إليهما قبل أن يُطْرَدا من المكان الذي ينزلان فيه!

أحمد: أين هما؟

لوبي: إنَّهما ينزلان في شقة صغيرة مفروشة في شارع «إيران» بالدقي.

أحمد: أعطني العنوان، وسيصل أصدقائي إليهما!

أخذ «أحمد» العنوان، وترك «لوبي» يأكل، ثم ذهب إلى محل مجاور به تليفون، اتصل بالمقر السري فردت «زبيدة» ...

قال «أحمد»: استمعي جيدًا ... اذهبي إلى هذا العنوان.

ثم أملاها العنوان. اسألي عن شخصين هما «مهارشا» و«جيكوب» ... خذي معك ألف جنيه، واطلبي منهما أن يقابلاني بعد ساعتين في قهوة «الفيشاوي» في حي الحسين، إنَّك تعرفين المكان؟

زبيدة: نعم!

أحمد: هاتيهما معكِ ... قولي لهما إنَّك قادمة من طرَف «لوبي بيجا» و«يوجاراجا» ... كلمة السر «ماهاويلي»!

زبيدة: سيحدث.

أحمد: إلى اللقاء!

عاد «أحمد» إلى «لوبي» الذي كان قد انتهى من طعامه، وجلس مستريحًا.

فقال «أحمد»: إنَّ زميليك سيصلان بعد ساعتين إلى مقهى «الفيشاوي» قريبًا من هنا!

لوبي: إنني أعرفها!

أحمد: نريد الآن أن نحصل على الأسلحة؛ حتى نتمكَّنَ من تنفيذ الخطة المطلوبة ... فكيف تحصلون على الأسلحة؟

لوبي: إنَّ هناك تاجرًا تعاملنا معه ... وهو قادر على إحضار أي نوع من الأسلحة في أي وقت.

أحمد: إننا جاهزون بالنقود.

لوبي: إذن، سأذهب للتاجر الآن لأتفقَ معه ... وسأَحضُر إلى قهوة «الفيشاوي» بعد ساعتين، حسب الاتفاق.

أحمد: إذن إلى اللقاء!

خرج الثلاثة من المطعم، واتجه «لوبي» إلى يسار الميدان، وأشار «أحمد» إلى «إلهام» أنْ تتبعَه، بينما اتجه هو إلى السيارة ...

تسلَّلت «إلهام» وسط الناس، واستطاعت أن تتبع «لوبي» الذي كان يسير وهو يتلفَّت حوله وخلفه، ثم توقف أمام باب منزل قديم خلف الميدان، ونظر حوله مرارًا ثم دخل. سجَّلت «إلهام» في ذاكرتها عنوانَ المنزل، ثم عادت إلى الميدان مرة أخرى، اتجهت إلى حيث كان «أحمد» يجلس على المقهى القديم.

قالت «إلهام»: لقد دخل منزلًا في حارة خلف الميدان.

أحمد: لقد توقعت أن يكون نشاطهم مركزًا في هذا المكان.

إلهام: ماذا سنفعل؟

أحمد: لا شيء أكثر من مسايرتهم حتى نعرف الرءوس الكبيرة التي تُحرِّك العصابة.

إلهام: يجب أن نكون على حذر!

أحمد: طبعًا!

شرِبا الشاي، ومرت الساعتان، وظهرت «زبيدة» مع شابين أسمرين، كانا بالطبع «مهارشا» و«جيكوب» ... وتعارف الجميع.

وقال «مهارشا»: أين «لوبي»؟ ... لقد فهمنا أنَّه سيكون موجودًا.

أحمد: إنَّه يتفق مع تاجر السلاح.

مهارشا: والملابس!

أحمد: سأقوم أنا بتدبيرها.

ظهر «لوبي»، وقد بدا على وجهه السرور ... وأشار بيده أنَّ كل شيء على ما يرام ...

قال «أحمد»: إذن بقي الاتفاق على تنفيذ الخطة.

لوبي: والملابس!

أحمد: سأدبرها أنا، وسنلتقي في الساعة العاشرة من الصباح، ستكون معي الملابس ... وسنجهز السيارة المطلوبة للهجوم.

ثم كتب «أحمد» لهم عنوان الشقة التي تتم فيها المقابلة.

مهارشا: وأين المحكمة؟

أحمد: إنَّها قريبة جدًّا ... في باب الخلق!

مهارشا: إنَّك تعرف الشوارع أكثر منا ... لهذا نترك لك تحديد الشارع والمكان الذي سيتم فيه الهجوم!

أحمد: سأضع خطة دقيقة!

في العاشرة من صباح اليوم التالي تم الاجتماع ... وقد أحضر «أحمد» ثياب ضباط البوليس، بالاتفاق مع جهات الأمن ... كما أحضر «لوبي» الأسلحة ... ولدهشة «أحمد» الشديدة، كانت من أحدث الأسلحة ... وبالطبع تم إخطار جهات الأمن بعنوان تاجر السلاح للقبض عليه بعد تنفيذ الخطة الوهمية ... وبعد استعراض جميع تفاصيل الخطة، ذهب «أحمد» لزيارة «عثمان» في السجن في تمام الساعةِ الحاديةَ عشرةَ مساءً، بعد أن تهدأ حركة المرور!

وهكذا مضى اليوم ... وفي الحادية عشرة مساءً، غادر «عثمان» و«يوجاراجا» مبنى محكمة مصر، في ميدان باب الخلق، وركبا سيارة الشرطة في الطريق إلى السجن ... وبالطبع كان رجال الشرطة على علم بالخطة الموضوعة ... وعندما اعترضت سيارة الشبَّان

الثلاثة سيارة الشرطة، تظاهر رجالها بالذعر ... وقفز «مهارشا» إلى عجلة القيادة، وطار بسيارة الشرطة، تتبعه السيارة الثانية وبها «جيكوب» و«لوبي»، وسيارة ثالثة بها: «أحمد» و«إلهام».

سار «مهارشا» بسرعة متوسطة في شوارع القاهرة، حتى وصل إلى طريق المعادي، فأطلق للسيارة العِنان. تتبعه سيارة «جيكوب»، ثم سيارة «أحمد». وعندما اطمأن «مهارشا» أن أحدًا لا يتبعه ... أوقف السيارة، ثم نزل، وأطلق رصاصة من مسدسه مكتوم الصوت على قفل السيارة وفتح الباب الخلفي، ونزل «عثمان» و«يوجاراجا» ... وركب الثلاثة بجوار «جيكوب» وانطلقت السيارة إلى طريق حلوان ...

قال «أحمد» لـ «إلهام»: إنَّهم يعرفون الطريق جيدًا!

إلهام: وماذا بعد ذلك؟

أحمد: سنعرف منهم أسماء الرءوس الكبيرة في مصر والهند!

وتوقفت سيارة «مهارشا» أمام فيلَّا مُطفَأة الأنوار، ونزل الشبَّان الخمسة ...

طريق إلى الهند

تم اجتماع بين الشياطين الأربعة والمهرِّبين الأربعة ... كان «يوجاراجا» مُعجَبًا جدًّا بما تم إنجازه في فترة قصيرة ... وقال: لقد أثبتت مجموعتكم أنَّها قادرة على إنجاز المستحيل!

أحمد: المشكلة أننا نعمل مقابل أجر بسيط ... ونتعرض للمخاطر والحكم بالإعدام والسجن بثمن رخيص!

يوجاراجا: لقد انتهى هذا كله ... سوف ننظم عصابة جديدة منكم ومنا. سنجلب نحن البضاعة إلى مصر، وعليكم توزيعها.

أحمد: ولكن هناك الرءوس الكبيرة في العملية!

يوجاراجا: سنرشد عنهم.

صاح «أحمد» متعجبًا: ترشد عنهم؟!

يوجاراجا: نعم ... لقد تخلَّوْا عني عندما قُبض عليَّ وأُودِعتُ السجن، وتركوا أصدقائي بدون نقود ... إنَّهم يستحقُّون العقاب.

ساد الصمت بعد حديث «يوجاراجا» ... فقد كان ذلك تطورًا مثيرًا ...

وقال «عثمان»: وبعد ذلك؟

يوجاراجا: سأسافر مع أصدقائي إلى الهند، وسنجلب كميات ضخمة من الهيروين والكوكايين لحسابنا نحن، وتقومون أنتم بترويجها.

أحمد: ولكن أنتم الآن موضع مراقبة شديدة من السلطات في مصر ... وبعد فرارك من السجن سوف يضاعفون جهودهم للقبض عليكم ... وأعتقد أنَّ من الأفضل أن تَبقوا فترة بعيدًا عن العيون قبل أن تتحركوا ... وأستطيع أنا أن أسافر إلى «الهند» لجلب البضاعة. إنني وبعض أصدقائي الآخرين لسنا موضع شبهة.

كان «أحمد» يتحدث بشكل منطقي، وهو يضع الطعم لـ «يوجاراجا» الذي أخذ يفكر فيما قال: وهل يمكن إخفاؤنا في مصر لفترة طويلة؟

أحمد: إنَّ عند أحد أقاربي منزلًا على شاطئ بحيرة «قارون»، وهو منزل منعزل، وبعيد عن العمران ... ويمكن أن تختفوا فيه فترة طويلة حتى يتم تدبير جوازات سفر مزورة لكم، أو يمكن عبور الصَّحْراء في هذه المنطقة المتاخمة للحدود مع ليبيا.

قال «مهارشا»: إنني موافق على هذا الحل.

يوجاراجا: ومتى نرحل؟

أحمد: في أيِّ وقت ... المهم الآن، ماذا سنفعل مع الرءوس الكبيرة؟

يوجاراجا: سأعطيك ثلاثة عناوين للثلاثة الكبار في عملية تهريب المخدِّرات البيضاء إلى مصر، وعليك بإبلاغ الشرطة عنهم.

أحمد: اطمئن، سأبلغ عنهم فورًا.

يوجاراجا: من الأفضل أن نقضيَ الليلةَ هنا.

أحمد: سأترك «عثمان» معكم، وسأذهب لعمل الترتيبات اللازمة للرحلة إلى «الفيوم».

وقام «أحمد»، وانصرفت معه «زبيدة» و«إلهام»، وترك «عثمان» بعد أن تفاهم معه على أن يراقب المهرِّبين الثلاثة.

وقال له: سأبلغ الشرطة بمكانكم ... لا بُدَّ من رقابة عليهم.

وعندما انطلقت السيارة، قالت «إلهام»: لقد حصلنا على معلومات هامة حقًّا.

أحمد: فعلًا ... إنَّ رقم «صفر» سيبتهج عندما يسمع بما تم.

زبيدة: لقد كانت خطة «عثمان» ممتازة!

لاحظ «أحمد» أنَّ سيارة من طراز «بيجو ستيشن» تتبعهم ... وأخذ يراقب خط السيارة، ووجد أنَّها تُبدل مكانها مع سيارة أخرى، وأدرك أنَّهما سيارتا شرطة.

عندما وصل «أحمد» إلى القاهرة، قرَّر أن يختفيَ عن أعين رجال الشرطة؛ فإنَّه لا يصحُّ أن يعرفوا مقر الشياطين السري.

اتجه «أحمد» إلى شارع عماد الدين ... وظلَّ سائرًا وهو يشاهد سيارتَيْ رجال الشرطة، حتى توقف أمام عمارات الخديوي، وهي عمارات ذات مدخلين ... أوقف السيارة، ونزل هو و«زبيدة» و«إلهام» ... وعندما دخل من المدخل العمومي على شارع عماد الدين، صاح فجأة: اجريا!

وجرى «أحمد» وجرت «إلهام» و«زبيدة» بأسرع ما استطاعوا، حتى نفذوا من الباب الآخر ...

وجدوا أنفسهم في الشارع الضيق الموازي لشبرد، وأمام سينما «ديانا». ركبوا تاكسيًا حملهم إلى ميدان الدقي، ونزلوا هناك، وبعد أن انصرف التاكسي ساروا على أقدامهم إلى المقر السري.

دخل «أحمد» غرفة اللاسلكي للاتصال برقم «صفر»، بينما انصرفت «إلهام» و«زبيدة» لإعداد الطعام ... وظلَّ «أحمد» في غرفة اللاسلكي أكثر من نصف ساعة، أبلغ خلالها رقم «صفر» بكل التطورات التي حدثت.

رقم «صفر» في ختام رسالته: جاءنا الآن من القاهرة أنَّكم استطعتم تضليل رجال الشرطة ... لقد ضحكتُ كثيرًا عندما علِمتُ بذلك!

ردَّ «أحمد»: لقد كانوا يتبعوننا بطريقة تبادل السيارات، وقد درسنا هذه الخطة مِرارًا.

رقم «صفر»: لا بأس ... على كل حال ... استمروا في عملكم.

أحمد: هناك احتمال أن أسافر إلى «الهند» ... أريد أن يأتيَ معي «بو عمير» و«رشيد»!

رقم «صفر»: سأطلب منهما الانضمام إليكم في القاهرة.

في مساء اليوم التالي تحركت سيارة تحمل «أحمد» و«عثمان» والمهرِّبين الثلاثة إلى الفيوم ... وعند شاطئ بحيرة «قارون» في مكان مهجور، توقفت السيارة أمام منزل منعزل ... ونزل الخمسة وعندما دخلوا المكان، صاح «يوجاراجا»: إنَّه مكان رائع ... إنني في أشد الحاجة إلى الراحة والاستجمام.

أحمد: لقد تم إبلاغ السلطات عن الرءوس الثلاثة الكبيرة. المهم الآن ... ماذا في الهند؟

يوجاراجا: سأعطيك كل التفاصيل التي تهمك عن اتصالاتي في «الهند» ... وخذ هذا!

وضع «يوجاراجا» أصابعه في شعره، وأخرج دبوسًا صغيرًا من الذهب الخالص المُطعَّم بالماس، وقال: هذا الدبوس لا يحمله إلَّا عضو اللجنة المركزية لعصابة «مهارشا».

أحمد: عصابة «مهارشا»!

يوجاراجا: نعم ... إنَّها أكبر عصابة في تاريخ «الهند» ... ومقرُّها ... جسر آدم ... بين «الهند» و«سيريلانكا».

إنَّ كلمة السر التي استخدمناها هنا «ماهاويلي» هي كلمة السر هناك ... وبهذا الدبوس تستطيع مقابلة زعيم العصابة.

أحمد: وهل لا بُدَّ من أن آخذ نقودًا معي؟

يوجاراجا: أبدًا، إنَّه سيُسلِّمك البضاعة بصفة أمانة ... وبعد أن تدخل مصر وتبيعها تأخذ معك النقود في الرحلة القادمة!

وجلس الخمسة في شمس «قارون» الدافئة يتحدثون ... كانت المغامرة القادمة في نظر «أحمد» من أخطر المغامرات ...

هنـــداوي